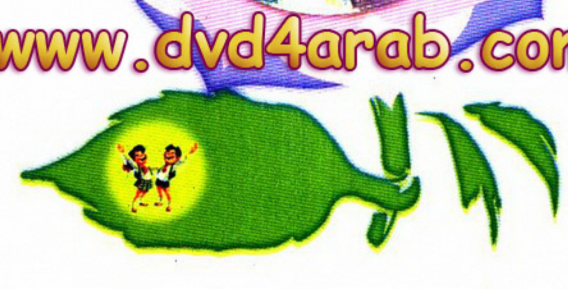
روايات مصرية للجيب

زهور

93

زواج العمر



هذه السلسلة ..

عندما تتحوّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوقّ قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهيّة .. وفى لحظات الجفاف .. فتشيع عبيرها الفوّاح فى ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١

سارت (يُسر) متثاقلة فى طريقها إلى المنزل ، وهى حزينة لما سمعته من كلام الموظف المختص بالدورة التدريبية ؛ إذ كان شرط إذن الزوج من الشروط الأساسية لسفرها فى تلك المنحة ..

آه كم حلمت بمنحة فرنسا هذه !!

كم تاقت فى سنين عملها مدرسة للغة الفرنسية للحصول على هذه المنحة ، والآن بعد أن تأتى إليها تجد هذه العقبة أمامها !!

كيف لم تفكر فى هذه المشكلة ؟ ماذا تفعل ؟ لو كانت الأمور بينها وبين (وائل) مستقرة لوافق فى الغالب ، لكن كيف ستطلب موافقته والأمور على ما هى عليه ؟!

دخلت المنزل وعقلها يدور مفكرًا فى هذه المشكلة .

سألتها أمها قلقة :

ـ خير يا بنتى !!

ـ ضاعت الفرصة يا ماما .

ـ لماذا ، ماذا حدث ؟ كفانا اللّه الشر .

خرج (باسم) ـ أخوها ـ فى هذه اللحظة ووقف يستمع وهو مستند لإطار الباب ، فلم يلحظاه بسبب انشغالهما بالحديث .

ـ لا فائدة يا ماما يجب أن أقدم إذن الزوج بالسفر .

ـ أنهى جميع أوراقك واللّه يوفقك .

ـ وما الفائدة ؟ (وائل) لن يوافق أبدًا .

ـ سيوافق طوعًا أو كَرْهًا .

قالت (يُسر) وهى متهالكة :

ـ كيف ؟!

ـ لا بد من وجود حل لا تقلقى يا حبيبتى سنجد حلاً بإذن اللّه .

ـ يارب يا ماما .. يارب .

تركتها أمها وذهبت لتعد لها شيئًا لتشربه وتهدئ نفسها .

قال (باسم) :

ـ هذا ذنب (وائل) !!

انتبهت لوجوده ، فقالت :

ـ بدلاً من أن تساعدنى تفرح فىَّ ؟

ـ أساعدك ؟! وكيف أساعدك ؟ وهل تأخذين برأيى فى أى شىء لأساعدك .. هذا كله نتيجة لعنادك ، ماذا لو وافقت على الذهاب مع زوجك منذ البداية ؟

صاحت :

ـ يا ماما .. أبعدى (باسم) عنى ..

ـ مالك ولأختك يا (باسم) اتركها فى حالها .

ـ حاضر .. أنا خارج .. سأكمل لبسى وأخرج وأتركها .

دخل (باسم) إلى حجرته وجلس على حافة السرير ليلبس حذاءه، وجاءت أمه ووقفت فى مدخل الحجرة، وقالت :

- (باسم) ..

قاطعها قائلاً :

- أرجوك لاتفكرى فى أن تطلبى منى هذا الطلب ..

قالت :

- أنا لم أتكلم بعد .

- ولكنى أعرف ماستطلبينه .

- وماذا فى ذلك يابنى؟ أختك فى مشكلة، ألا تساعدها؟

أجابها :

- من لحظة واحدة كنت تقولين : اتركها فى حالها .

- أنا أقصد ألا تزيد هَمَّها .

- آسف جدًا .. أنا لا أستطيع مساعدتها .

سألته :

- ولِمَ لا؟

لم يحر جوابًا، ووقف بعد أن لبس حذاءه والتقط جاكتته، وقال :

- عن إذنك يا ماما .

أفسحت له الطريق فاتجه نحو الباب .

قالت فى حُنُوَ :

- يابنى لِمَ لم ترد علىَّ؟

أجابها :

- أولاً .. أيام المشكلة لم يأخذ أحد برأيى، ولأخبرتمونى أن الموضوع خاصٌ بهما وأن لاشأن لى بما بينهما .

- لكن هذا موضوع آخر .

- أرجوك يا ماما أخرجينى من أى موضوع يخص (يُسر) و (وائل) .

فتح الباب ليخرج فعادت أمه تناديه :

- (باسم) ..

أجابها :

- ماما .. إنهما يومان إجازة فقط وأنا لدى ميعاد .. مع السلامة .

خرج وهو يصفر مسرورًا وأغلق الباب وراءه ، وجعل يقول فى نفسه : «إن هذا أحسن شىء منذ بداية مشكلة (وائل) مع (يُسر) لنرى كيف ستسافر إلى فرنسا » .

نظرت (يُسر) فى حزن لأمها .

شعرت الأم بما يدور بعقل (يُسر) فطمأنتها على الفور :

- لاتقلقى يا حبيبتى سأكلم (باسم) عندما يعود وسأقنعه بأن يكلم (وائل) .

- لا أعتقد أنه سيكلمه ، إنه يحب (وائل) أكثر ودائمًا يأتى فى صفه .

- ياحبيبتى أنت أخته الوحيدة ، ولن يرضيه أن تضيع منك هذه الفرصة .

بكت (يُسر) وارتمت فى حضن أمها .

- لاتبكى ياحبيبتى سنجد حلاً .. حتى لو كان برفع قضية طلاق على (وائل) .. سأخبرك بشىء .. ابدئى فى استخراج وتجهيز جميع أوراقك ، وبإذن اللّه سنجد حلاً قبل أن ينتهى ميعاد تقديم الأوراق .. هيا ياحبيبتى قومى واغسلى وجهك .

ابتسمت (يُسر) لأمها وقامت تفعل ما أمرتها به .

* * *

ذهبت (يُسر) لاستخراج جواز السفر ففوجئت بأنها لاتستطيع استخراجه لنفسها ، وأنه يجب أن يستخرجه لها زوجها ، أو على الأقل عن طريق توكيل رسمى .. فشعرت بإحباط أكبر وعادت إلى المنزل وهى أكثر يأسًا .

سألتها أمها :

ـ ماذا حدث ؟

أجابت :

ـ لافائدة .. حتى جواز السفر لاأستطيع استخراجه بدونه .. لافائدة يا ماما يبدو أنه لانصيب لى فى هذه السَّفرة .

نصحتها قائلة :

ـ لاتتخاذلى بهذه السرعة .. ارفعى قضية طلاق ..

فكرت (يُسر) فى إصرار أمها على تطليقها من (وائل) .. لم تستطع إخبارها أن هذه الفكرة لم تخطر لها على بالٍ كَحَلٍّ أبدًا .

ـ الطلاق ..

ترددت لحظة قبل أن تكمل معترضة :

ـ الطلاق سيأخذ وقتًا طويلاً يا ماما ، والميعاد النهائى بعد شهر واحد فقط .

ـ إذن ليس أمامنا غير (باسم) . سأكلمه مرة أخرى وبإذن الله سيكلم (وائل) .. لاتقلقى يا حبيبتى سنجد حلاً بإذن اللَّه .

* * *

دخلت (يُسر) إلى حجرتها تفكر فى مشكلتها مع (وائل) صديق أخيها .. أعز أصدقائه ، أحبها وأحبته وتقدم لها وخطبها ثلاث سنوات .. أجمل حلم يستطيع إنسان أن يعيشه على أرض الواقع عاشته هى و (وائل) وتَوَّجَاهُ بالزفاف . تزوجا فى منزل والديه .. لم يحدث بينهما أى مشاكل .

عادت تتذكر : « فى الحقيقة كانت تحدث مشاكل ... لكنها أمور صغيرة .. » .

حتى جاءت فكرة المزرعة فى عقله وشجعه عليها (مصطفى) ابن عمه و(أحمد) صديقه ودخل أخوها (باسم) معهم واشترى (وائل) قطعة أرض كبيرة هو وابن عمه .. وطلب منها أن تذهب معه .. لكنها لم تقبل ..

« ماما كان معها حق . كيف أذهب إلى هذا المكان البعيد ؟ مكان لا يوجد فيه مستشفيات ولا مدارس .. وعملى ومستقبلى .. لا أنا لم أخطئ » .

عادت (يُسر) تفكر بعد كل هذه المشاكل : هل يعقل أن يعطيها (وائل) موافقته على سفرها .. لا يمكن .

ربما من الأحسن أن تنسى فرصة السفر هذه بدلاً من أن تصاب بخيبة أمل فى النهاية .

شعرت أن عقلها سينفجر من كثرة التفكير .

عادت تفكر فى (وائل) . خمسة شهور مرت منذ آخر مرة رأته فيها .. ظل مصممًا على أن يأخذها معه ، ورفضت هى أن تذهب وتركت منزل والديه . وهو قد قرر الحياة فى مزرعته هذه طوال الوقت .

شعرت أنها ستجن لو ظلت تفكر هكذا ، ارتدت ملابسها ، اتصلت بـ (نهلة) صديقتها تسألها عما إذا كان

الوقت مناسبًا لزيارتها ، ثم استأذنت من أمها وخرجت .

عندما وصلت لباب (نهلة) تراجعت وعادت ، تساءلت فى نفسها :

« ما الذى جعلها تأتى لـ (نهلة) ؟ » ..

فبرغم أن (نهلة) .. أعز صديقاتها إلا أنها عارضتها فيما فعلته ، وكانت فى صف (وائل) ضدها .

عادت إلى المنزل .

بادرتها أمها :

ـ خير . ماذا حدث ؟

ـ لا شىء ، أحسست أن لا مزاج لى للقاء أحد فعدت .

ـ لم تذهبى ؟!

ـ نعم سأتصل بـ (نهلة) .

اتصلت بـ (نهلة) التى بادرتها بالسؤال فى انزعاج :

ـ ماذا حدث .. لماذا تأخرت ؟

أجابتها :

- لا شىء ، شعرت بأنى متعبة قليلاً .

- سلامتك ، هل آتى إليك ؟

- لا ...

رفضت (يُسر) بقوة .. ثم أكملت عندما انتبهت لما قالته :

- ليس بهذه الدرجة .. لا تتعبى نفسك .

عادت (نهلة) تسألها :

- ماذا بك يا (يُسر) ؟

- لاشىء ، موضوع المنحة وإذن الزوج هذا ...

لم تعرف (يُسر) ماذا تقول أكثر من هذا . ولاكيف تكمل الكلام .

قالت (نهلة) :

- بإذن اللَّه كل شىء سيحل .

ردت (يُسر) :

- بإذن اللَّه .. مع السلامة يا (نهلة) .

- مع السلامة .

تنفست (يُسر) الصعداء ، ودخلت لتبدل ملابسها كى تنام .

* * *



٢

وقف (باسم) فى حجرته متوترًا من طلب أمه أن يتدخل لدى (وائل) ليطلب منه الموافقة على سفر (يُسر).

- أرجوك يا أمى .. لقد كادت صداقتى أنا و(وائل) أن تتحطم فى المرة السابقة، ولم يُبق عليها إلا أنى أقسمت له ولنفسى ألا أتدخل فى أى موضوع يخصهما.

ردت الأم فى توسل:

- يا بنى إنه حلم حياتها وفرصة قد لا تتكرر، إنها أختك الوحيدة يا (باسم) ألا تحاول من أجلها ؟!

فتح دولاب الملابس ثم عاود إغلاقه دون أن ينظر بداخله، ثم أجابها:

- أنا لا أستطيع الكلام معه فى هذا الموضوع، هل

نسيت عندما طلب منى التوسط فى مشكلته مع (يُسر)، فقلتما لى: إن صداقتى لـ (وائل) شىء وزواجه بأختى شىء آخر، وأنا قلت له هذا الكلام.

قالت الأم:

- يا بنى هداك الله، لأجل أختك .. أو لأجل خاطرى أنا، ألا خاطر لى عندك ؟

أجابها:

- خاطرك على رأسى، لكنى لا أستطيع، كما أنى سأسافر بعد ساعتين.. أريد أن أجهز حقيبتى وأذهب لأحجز فى الأتوبيس.

تركته أمه وخرجت إلى الصالة لا تعرف ماذا تقول لابنتها ...

جلست حزينة إلى جوارها، وقالت:

- (باسم) ..

قاطعتها (يُسر) متمّمة حديثها:

ـ لم يوافق ، سمعت كل ما قاله .. لا بأس يبدو أن لا نصيب لى فى السفر .

ـ لا تقولى هذا سنجد حلاً بإذن اللَه .. سأفكر .

جلست أمها تفكر لبعض الوقت ، أما (يُسر) فعجزت عن التفكير .

بادرتها أمها :

ـ لم لا تطلبين منه أن يوافق لك على السفر ؟

ـ كيف !

ـ سافرى إليه .

ـ ماذا ؟!!

ـ ولِمَ لا ؟ (وائل) طيب وابن حلال وعاقل وسيوافق بإذن اللَه .

ـ فجأة كل هذا المديح لـ (وائل) !!

ـ لم ؟؟ وهل قلت شيئًا ضده من قبل ؟

ـ يا ماما !

فكرت (يُسر) فى الأوصاف الكثيرة التى طالما وصفت أمها (وائل) بها « أنانى ومتعنت و .. و.. و... » .

سألتها أمها ردًا على نظرتها غير المصدقة :

ـ ماذا ؟

أجابتها :

ـ لا شىء .

تراجعت (يُسر) على الفور .. ماذا ستقول لها !

★ ★ ★

فكرت (يُسر) فى اقتراح أمها « أسافر إليه ؟ أيعقل هذا ، بعد كل ما حدث ، كيف ؟؟ » .

ـ غير معقول .

قالت أمها :

ـ بل هذا هو المعقول بعينه .. سافرى إليه مع أخيك الآن .

فزعت (يُسر) من احتمال سفرها الفورى ولقائها بـ (وائل) ، وقالت :

ـ لا ، اتركينى أفكر أولاً .

ـ كما تحبين .

تركتها أمها واتجهت نحو المطبخ دون أن تنتبه لها ، وانشغلت (يُسر) بالتفكير ..

نعم السفر إلى فرنسا .. إلى باريس مدينة النور هو أحد الأحلام التى طالما حلمت بها ، دراسة اللغة الفرنسية فى بلادها ...

لكن .. ترددت (يُسر) ، لكن هل تسافر إلى (وائل) ؟! وما أدراها أنه سيقبل ؟!

عادت تفكر .. ماذا ستخسر لو لم يوافق ؟!

لاشىء !!!!

لا ، ستخسر الكثير ، بعضًا من كرامتها على الأقل .

قررت (يُسر) فى حسم : « لا ، لن أسافر » .

لكن عقلها لم يهدأ ، وعادت تتراجع متسائلة : «ولم لا أسافر ؟» .

حدثها قلبها بأنها تريد رؤية (وائل) وأنها تفتقده ، لكنها لم تعترف لنفسها بذلك .

خرج (باسم) من حجرته قائلاً لها :

ـ اسمعى كلام ماما وسافرى إليه .

نظرت (يُسر) إلى (باسم) مندهشة ، لأول مرة يتفق رأيه مع رأى أمهما فى شىء يخص (وائل) .

ردت فى رفض تلقائى دون تفكير :

ـ لا ، لن أسافر .

ـ كما تريدين . أنا لم أطلب منك ابتداءً أن تسافرى ، أنا أطلب منك أن تسمعى كلام ماما فى كل ما تقوله .

تحرك نحو باب الخروج ، قائلاً :

ـ سلام ، سأمر على أحد أصدقائى آخذه فى طريقى ونسافر سويًا .

خرج (باسم) قبل أن يعطيها فرصة للرد عليه ، وهو يعتقد أنها ستسافر ، خاصة إذا لم يلح عليها وعلى الأقل لعلها ترى (وائل) بعيدًا عن تأثير أمها وترى مشروعه فتبقى معه .

★ ★ ★

فكرت (يُسر) فى أخذ رأى (نهلة) لكنها تراجعت فهى تعرف رأيها من البداية ، إنها أول من شجعها على السفر مع (وائل) ، وأخبرتها أنها مخطئة برفضها للسفر مع زوجها ..

لم تعرف (يُسر) ماذا تفعل .. تسمع كلام أمها كما قال (باسم) ؟

ولِمَ لا ؟ هذا ما تفعله دائمًا .

قررت (يُسر) أن تسافر ، ومع ذلك عادت تناقش أمها للمرة الأخيرة بعد أن تركتها تقنعها بالسفر :

ـ وإذا رفض ؟!

ـ اطلبى الطلاق على الفور .

لم تكن (يُسر) تؤيد أمها فى هذه المسألة ، ومع ذلك سألتها :

ـ وإذا رفض الطلاق ؟!

ـ سأرفع لك قضية . كنت سأفعل ذلك على أى الأحوال .

حاولت (يُسر) أن تثنى أمها عن عزمها ، فقالت :

ـ قضية كهذه ستأخذ وقتًا ، كما أنها غير مضمونة ، وستكون فرصة السفر قد ضاعت .

ـ سفر أو لا ، يجب أن ينتهى موضوعك مع (وائل) ، المحامى عنده أكثر من حل ، أبسطها أن يقول : إن المنزل فى المزرعة التى فى وسط الصحراء غير آمن وغير مناسب ، أو يرفع قضية خلع ، القضية مضمونة بشكل أو بآخر .

سكتت (يُسر) ولم تجادل أمها ، كانت تعلم أن لا فائدة فى الجدال .

★ ★ ★

٣

طلبت (يُسر) إجازتها السنوية ، وبدأت تستعد للسفر وهى نادمة على أنها لم تسافر مع (باسم) .

بدأت (يُسر) فى حزم ملابسها ، احتارت فى اختيار ما تأخذه معها ..

أخذت فستانًا كان (وائل) يحبه وتايرين جديدين لم يرها ترتديهما من قبل ، وكذلك بنطلونًا لأى رحلة غير متوقعة .

مدت يدها لتختار المنامة المحببة إليها ، وجدت نفسها تأخذ واحدة أخرى جديدة لم تلبسها من قبل .. أخذت حقيبة السفر الجلدية الصغيرة ، كل هذه الأغراض تمت بسهولة لم تتوقعها ، وبدا وكأنها لم تأخذ سوى رداء واحد ..

★ ★ ★

أوصتها أمها مرة أخرى :

ـ لا تتأخرى ولو رفض اطلبى الطلاق .. سينتظرك أخوكِ على المحطة ، اتصلى بى على الفور وطمئنينى ... واسكنى مع أخيكِ ، هل تسمعيننى ؟

أومأت لها برأسها فلم يكن لديها طاقة لتكرار كلمة حاضر ـ كَرَدٍّ على هذه النصائح أو الأوامر لو كانت صادقة مع نفسها ـ مرة أخرى .

أخيرًا انطلق بها الأتوبيس ، استجمعت شجاعتها فلم يعد مجال للتراجع ، لم تتابع معالم الطريق وأجفلت حتى نبهها السائق بوصولهم إلى المحطة .

كان الجو حارًا والهواء ساخنًا ولم يكن هناك أثر لـ(باسم) فى أى مكان ، أمسكت الحقيبة بيديها الاثنتين ووقفت كأنها طفلة تائهة .

أيعقل أن (باسم) نسى ميعاد وصولها ؟ لقد أكدت أمها أنها ستتصل به مرة أخرى لتؤكد عليه بمجرد مغادرة الأتوبيس ..

كان الظلام قد بدأ ينتشر بسرعة كبيرة ، وانتشر الانقباض فى قلبها بصورة أسرع .. ندمت على مجيئها ..

إنها لاتعرف أيضًا موعد وصول الأتوبيس التالى .

قاطع أفكارها رؤية سحابة غبار فى الطريق ..

قالت تحدث نفسها : إن هذا ماينقصها غبار إضافى ، لكن قلبها دق فى أمل بعد لحظة واحدة وهى تنصت بشدة لصوت محرك السيارة التى لم تظهر لها بعد ، أمسكت أنفاسها حتى اقتربت السيارة ، فتنهدت بارتياح لرؤية أخيها خلف عجلة القيادة ...

بحثت بعينها عن شخص آخر معه ،ولما لم تجد (وائل) شعرت بخيبة أمل ، حاولت أن تخفيها عن نفسها .

عاتبت أخاها على تأخره ، فأخبرها أن السيارة تعطلت منه فى الطريق ، ولكن بمجرد أن جلست بجواره لاحظت أنه متعب ، فبادرته قائلة :

ـ هل أنت مريض ؟

أجابها :

ـ قليلاً .

ـ ولِمَ لَمْ تَعُدْ إلى المنزل لنرعاك ؟

رد قائلاً :

ـ أولاً هذا برد بسيط ، وأنت تعرفين أن ماما تعمل من الحبة قبة ، ثانيًا لدىَّ أوامر مشددة من ماما بأن أبقى هنا لمراقبة سلامتك .

ساد الصمت بينهما باقى الطريق دون أن تستطيع (يُسر) أن تسأل أخاها عن زوجها هل يعلم بقدومها ؟!

هل أخبره (باسم) أم لا ؟ وإن كان (باسم) أخبره .. لِمَ لم يأتِ لاستقبالها ؟!

كانت السماء قد أظلمت عندما وقفت السيارة أمام المنزل ، لكن كان هناك مصباح مضاء فوق الباب .

سألت (يُسر) وهى تنزل من السيارة :

ـ منزل من هذا ؟

أجابها (باسم) وهو يخرج حقيبتها من المقعد الخلفى للسيارة :

ـ منزل (وائل) طبعًا .

تقدم لباب المنزل فأمسكت بيده توقفه وهى تشعر بحرارة شديدة تغزو وجهها ، وقالت :

ـ ألن أسكن معك ؟!

وقف أخوها وتأملها باستغراب ، ثم قال :

ـ معى أين ؟

ـ فى منزلك .

ـ أنا لا أسكن فى منزل مستقل ، أنا أسكن مع باقى الشباب الذين يعملون فى المزرعة .

أكمل طريقه ودفع الباب فانفتح .

جرت (يُسر) وراءه وهى تعترض :

ـ لكن يا (باسم) انتظر .

لم يهتم لاعتراضها وسبقها للداخل فتبعته رغمًا عنها ، أضاء النور بالداخل ووضع حقيبتها بجوار الباب واستدار لينصرف ، فأمسكت بيده ، وقالت :

ـ انتظر .

أَبْعَدَ يدها .

ـ ماذا هناك ! لماذا تتصرفين كالأطفال ؟!

ـ هل ستتركنى وحدى هنا ؟

أجابها :

ـ (يُسر) أولاً أنا لدى عمل ، ثانيًا هذا بيت زوجك ، يعنى بيتك ، ثالثًا وهذا هو الأهم قدومك هنا لم يكن اقتراحى .

ـ لحظة ..

استمهلته بصوت مرتعش ثم أكملت :

ـ هل هو هنا ؟

ـ لا ، ليس هنا .. لدينا هنا عمل نؤديه ، هو لايعود إلا على موعد النوم .. عن إذنك لقد تأخرت .

خرج (باسم) من المنزل وتركها حائرة لاتعرف ماذا تفعل .. نظرت إلى الصالة تتأملها ، كان الأثاث بسيطًا فى الصالة المتسعة ، كان المكان عمليًا لكن مفتقدًا لشىء ، كل شىء فى غاية النظام والنظافة .

اعترفت لنفسها بذلك وهى تتأمل باقى الحجرات والمطبخ فى عجالة ؛ حتى لايفاجئها (وائل) ، تعرفت على حجرته بنظرة واحدة ، وكأنها رأته شخصيًا .

كل ما فيها يعكس شخصيته القوية ، كانت الحجرة لاتشبه بأى حال حجرتهما فى منزل والديه . كانت الأخيرة فى ذوقها هى .. تنهدت وأسرعت بمغادرة حجرته .. فإن أصعب ماتتمناه أن يعود ليجدها فى حجرته ...

كانت الحجرة الوحيدة التى تصلح تقريبًا لنومها شبه خالية إلا من أريكة ، قررت أن تنام عليها ...

شعرت بتعب شديد ، فقررت أن تنام لتصحو مبكرًا وتكلمه ، فقد قَدَّرَتْ ـ تبعًا لكلام أخيها ـ أنه

لن يعود إلا متأخرًا جدًا . وليس من الحكمة أن تطلب منه شيئًا فى آخر اليوم وهو متعب .

اغتسلت بسرعة وبدلت ملابسها ، خجلت أن تأخذ غطاء فارتدت الروب فوق البيجاما ، وأغلقت الباب عليها جيدًا ، ثم استلقت محاولة أن تنام على الأريكة الضيقة ..

شعرت بأن التعب سيستولى عليها ويسلمها للنوم بسرعة .. ومع ذلك ظلت مستيقظة فترة قبل أن يأخذها النوم .

* * *



٤

أفاقت وجسدها مضعضع من أثر النوم على الأريكة ومن برد الليل ..

سمعت صوت خطوات بالخارج فقدرت أنه (وائل) ، شعرت بالرهبة وبأنها لن تستطيع الخروج ..

كانت خائفة من رد فعله .

استجمعت أطراف شجاعتها وفتحت الباب بهدوء لتخرج ، كان جالسًا أمام مائدة صغيرة بالصالة وجانب وجهه تجاهها .. ظلت متسمرة مكانها دون أن تستطيع التقدم خطوة أخرى ، وانتظرت أن يلتفت إليها ..

مرت لحظة طويلة قبل أن يقول دون أن يلتفت :

ـ الإفطار جاهز ، إذا كنت تنوين القدوم لتناوله .

ارتعشت عندما سمعت صوته .. مر أكثر من خمسة شهور منذ آخر مرة رأته فيها ، وكان لقاء عاصفًا انتهى برفضها مجرد القدوم إلى هذا المنزل لرؤيته .

حاولت التقدم لتخرج ، فتذكرت أنها لم تبدل ملابسها فعادت تتسمر مكانها ، فكرت أن من الأفضل لها أن تعود إلى الحجرة وتبدل ملابسها قبل أن تخرج ، لكنها عادت فخافت أن يخرج ولا ينتظرها .. كانت تريد أن تكلمه بأسرع ما يمكن لتنتهى الأمر وتعود إلى منزلها . انتبهت إلى أنه ينظر إليها فارتبكت .

قال :

ـ أنا أسألك أن تأتى لتناول الإفطار فقط .. هل الأمر يحتاج لكل هذا الوقت ؟

حسمت أمرها وسارت تتعثر ثم جلست فى مقعد جانبى . لم تجرؤ على الجلوس فى مواجهته .. كيف استمعت لكلام أمها وأتت ؟!

فكرت فى يأس وهى تنظر فى الطبق دون أن تستطيع مجرد رفع رأسها ، فضلاً عن الكلام معه وطلب إذن السفر ..

قام ليخرج فانتبهت من أفكارها ، ابتلعت ريقها بصعوبة ، ونادته :

- (وائل) .

خرج صوتها مرتعشًا .

أجاب فى هدوء حسدته عليه :

- نعم .

قالت :

- أنا .. أريد ...

كانت تعرف أنه ينظر إليها ، فزاد هذا من ارتباكها .

- أ .. أقصد أنا .. كنت .

تلعثمت ولم تستطع تركيب جملة واحدة مفيدة .

تأملها وكاد يبتسم مما تفعله ، خمسة شهور طويلة مرت عليه وهو ينتظر أن تأتى أو أن تتصل به ليأتى ويأخذها .. خمسة شهور مر كل يوم فيها عليه كأنه عام ..

أيام وليالٍ طويلة فكر فيها وفى كل تفصيلاتٍ حياتهما معًا . غضبٌ وحزن ، شعر بالألم واليأس والأمل .. وتأتى فجأة - يعلم الله لِمَ - فيشعر أنه سامحها وينسى هذه الشهور الخمسة ، ويريد أن يأخذها بين يديه .

تأملها وهى تتصرف كالأطفال ، ونظر لشعرها المبعثر دون تنظيم من أثر النوم .

تنبهت لنظراته فمدت يدها تحاول ترتيبه ، كانت مازالت لاتعرف ماذا تقول ، نظر إليها مليًا ، ثم قال :

- أنا أعمل هنا كما تعلمين .. ولن أستطيع الانتظار أكثر من ذلك .

عاد يتحرك ، فقامت من مكانها وأسرعت تعترض :

- ولكن ...

توقف واستدار يواجهها :

ـ ولكن ماذا ؟

لم تعرف ماذا تقول ، وغامت عيناها بالدموع .. لم تنطق ، تمنت لو أن أمها معها هنا لتقول كل الكلام الذى لقنته لها ..

كانت متوترة لأنها خافت إن لم تتكلم الآن أن يتركها ويذهب فتضطر للانتظار ليوم آخر ، فى النهاية سألته عن موعد عودته كما اعتادت عندما كانا يعيشان معًا ..

ـ متى ستعود ؟!

هذا كل ما استطاعت قوله .. كانت فى حالة يرثى لها من الارتباك ، لولا ذلك لانفجر (وائل) من الضحك ولضحكت معه على نفسها ..

لكنه كان فى أبعد حال عن الضحك ، تساءل غاضبًا :

ـ كيف لها أن تأتى بعد كل هذا الوقت وفجأة تسألهِ متى ستعود ؟!

قال فى سخرية واستنكار :

ـ ماذا ؟!!

شعرت بعدوانيته فزاد ارتباكها ، وسارعت تبرر سؤالها :

ـ أ .. أقصد .. لأتحدث معك .

سيطر على نفسه ، لم يكن يدرى من أين أتى بكل هذا الصبر عليها ، أبعد عينيه عنها ، غضبه منها لم ينجح فى جعله يكرهها .

ـ سأحاول العودة فى منتصف النهار .. لكنى لا أعدك .

حذرها ، ثم أكمل فى لامبالاة مصطنعة :

ـ إن أردتِ حدثينى فى المساء .

خرج قبل أن تنجح فى استيقافه مرة أخرى ..

صرخت فى نفسها بعجز : « ليتنى لم آتِ » .

عادت تجلس إلى المائدة .. كانت جائعة ، لم تأكل شيئًا منذ الأمس .. لكنها لم تكن تحب أن تتناول الطعام وهى محبطة أو حزينة ...

فى النهاية غلبها الجوع وجلست تأكل .. عندما انتهت لملمت الأطباق وغسلتها وأعادت تنظيم كل شىء ..

لم تعرف ماذا تفعل .. شعرت بملل .

بدلت ملابسها إلى ملابس الخروج .. جلست متململة .

فكرت أن تخرج لترى المكان فى ضوء النهار ، لكنها خجلت أتخرج وحدها دون دعوة من (وائل) ؟!

فقط تمنت لو يأتى (باسم) ...

شعرت بفضول شديد لرؤية كل شىء .. نفس الفضول الذى ظل يملؤها لمدة شهور .. منذ بدأ (وائل) فى تنفيذ مشروعه ..

احتارت ، ظلت تدور حول نفسها فى المنزل ، لا تعرف ماذا تفعل .

تذكرت فجأة أنها تأخرت فى الاتصال بأمها ، أمسكت السماعة ، رفعتها ، وبدأت تدير الرقم ، ثم انتبهت لنفسها « ما هذا الذى أفعله ؟ » تساءلت مفكرة فيما ستقوله لها إذا سألتها : ماذا فعلت ؟ والأخطر إذا سألتها : أين تقيم ؟

كيف سترد ؟!

تساءلت : « لا ... غير معقول ، (باسم) لن يقول شيئًا كهذا » .

جلست صامتة ...

« وماذا بعد ؟ » فكرت فى ضيق .

قررت أن تخرج ولو لترى (باسم) متحججة بمرضه ، وما إن فتحت الباب حتى اصطدمت بـ (وائل) .. فارتبكت بشدة ..

ـ آسفة جدًا .

تراجع خطوة ليبتعد عنها ، ثم قال :

ـ أنا من عليه أن يأسف ، نسيت عشقك للمفاجآت .

عادت تدخل للمنزل فدخل خلفها .

انتظرت أن يتكلم هو ، لكنه عاد يتأملها على مهل .. فانتفضت من داخلها متوجسة ، لكن نظراته لم تفصح عن شىء ..

ـ كنت .. كنت ذاهبة لأرى (باسم) .. كان مريضًا بالأمس .

تكلمت لتكسر الصمت وتخفى ارتباكها فظهر أكثر من ارتجاف نبراتها .

ـ لقد جئت لهذا السبب .

سألته فى قلق حقيقى :

ـ هل حدث له شىء ؟!

ـ لا ، لم يحدث له شىء ، لكنى رأيت أن من الأفضل له أن يسافر ، وقد حدث .

تحرك فمشت خلفه .

سألت فى دهشة :

ـ ماذا ؟؟

أجابها :

ـ سافر إلى منزل والدتك لتعتنى به .

كانت السخرية واضحة فى صوته .

جلس على الأريكة ومَدَّ ساقيه أمامه ، فجلست هى على أحد المقاعد ..

نظرت إليه فى شك :

ـ لكنه ...

قرأ ما تفكر فيه وأكمل لها الجملة فى بساطة :

ـ يفضل الموت على العودة مريضًا إلى البيت .. أعلم .. لكنه متعب جدًا ولم يحصل على إجازة طويلة منذ زمن ، والإجازات القصيرة مرهقة جدًا .

عادت تسأل متشككة :

ـ لكن لماذا الآن ؟

ـ ولِمَ لا ؟!

قالها بلا مبالاة ، ثم أكمل :

ـ ماذا كنت أريد ؟

تصنع الحيرة ..

قالت :

ـ إنك كنت تريد إخبارى بسفر (باسم) .

قال :

ـ لا ، فى الحقيقة لدى نصف ساعة راحة بلا عمل ، ففكرت أن آتى لأسمع الموضوع الذى أردتِ الحديث فيه .

شعرت (يُسر) بالمفاجأة ، ولم تستطع تجميع أفكارها ..

تساءلت :

ـ لماذا أتى فجأة وأنا غير مستعدة ؟

اعتدلت فى جلستها ، ومضت تعبث فى ملابسها متصنعة ترتيبها .

قال (وائل) فى هدوء حسدته عليه (يُسر) :

ـ أنا منتظر .

قالت :

ـ لقد .. لقد جاءت الدورة التدريبية .

ـ أى دورة تدريبية ؟

ـ تلك التى فى فرنسا .. أنت تعلم كيف كنت أنتظرها .

سكتت . استعجلها :

ـ ثم ؟

ـ جواز السفر .

ـ آه ، وتريديننى أن أستخرجه لكِ .

ـ أنا .. أنت تعلم كم كنت أتمنى هذه الفرصة .

ربت على ساقه ونظر إلى الأرض ليعطى نفسه فرصة لاستجماع صبره مرة أخرى ، ثم قال :

ـ وكم مدتها ؟

ـ سنة واحدة .

- فقط !! سنة واحدة فقط .

قالها باستهانة لم تنتبه إلى مدى السخرية التى تحملها ، فابتسمت فى أمل :

- نعم .. سنة واحدة .

- وستبتعدين عن والدتك وعملك والمكان الذى نشأت فيه والحياة التى اعتدتِ عليها ؟

لم تظهر نبرته الأحاسيس التى تعتمل داخله ولم تتذكر (يُسر) أن هذه بالذات كانت أعذارها التى تعللت بها لكى لاتصطحبه ، فردت عليه فى حماسة :

- إنها فرصة ، إحدى أمنيات حياتى .

- وأين ماكنت تقولينه .. ألم تقولى إنك لاتستطيعين البعد عن والدتك ولو لمدة شهر ..

نظر لها متحديًا ، لم تستطع مبادلته النظرات فخفضت نظراتها .

أسرع يقول :

- شهر واحد تجربين فيه الحياة مع زوجك فى مكان يحاول أن يبنى مستقبلكم معًا فيه ..

دافعت عن نفسها قائلة :

- لكن .. لكن هذا شىء آخر هذه مجرد سنة ، وليس عمرًا بأكمله .

- مجرد سنة ؟؟!!

شعر بالغضب من استهانتها بمدة السنة .

- لم تقبلى أن تعطينى هذه السنة .. أم أن الفارق أننا هنا فى قلب الصحراء ، وهنالك فرنسا قلب الإثارة ؟!

- أنت تعرف أن هنا لايوجد مدارس أو مستشفيات ، كيف يعيش أولادنا ؟!

أسرع يقول فى سخرية :

- وهناك لن يكون لنا أصلاً أطفال نقلق على مستقبلهم ، مبرر مقنع .

- أنا ...

قاطعها :

ـ أنت ماذا ؟ قادمة بعد خمسة أشهر طويلة ، لم تعلمك شيئًا ؛ لتقولى لى إنك تريدين ، ليس فقط موافقتى على سفرك ، بل وأن أساعدك أيضًا ، وأنا عندما طلبت منك أن تأتى لزيارة المكان ورؤيته قبل أن تحكمى عليه ، رفضت مجرد زيارته ، مجرد المحاولة .

قام ووقف ، فوقفت هى الأخرى .

ـ عن إذنك ، لدى عمل ، ووقتك انتهى .

خرج وتركها وحدها لا تعرف ماذا تفعل ولا كيف تفكر !!

* * *



٥

جلست (يُسر) حائرة تفكر فى كلام (وائل) وحجته القوية .. ثم عادت تتذكر أمها وأخاها ، بالتأكيد (باسم) وصل الآن ، كيف لم يخبرها بسفره ؟! وكيف يتركها وحدها هكذا ؟ على الأقل سيطمئن أمها على وصولها ، فهى لن تجرؤ على الاتصال بها ..

فتحت نافذة ومدت نظرها لتشاهد حلم زوجها الذى نام وصحا عليه أيامًا وليالى طويلة وتركها من أجله فى النهاية .. هكذا فكرت فى المزرعة أنها السبب فيما حدث ، وشعرت بأن (وائل) اختار المزرعة وتخلى عنها ..

لم تر المزرعة كمشروع أنجز فيه الكثير ، مبانٍ هنا وهناك وأرض شبه جرداء ، كانت خبرتها فى مثل هذه الأمور منعدمة تقريبًا ، لكنها اعتقدت ـ على خلاف الحقيقة ـ أنه لم ينجز الكثير طوال هذه الشهور التى أمضاها هنا ...

جلست تفكر وهى تطل من النافذة حتى بدأ الظلام ينتشر .. شعرت بالجوع وبحثت عن شىء تأكله ، أكلت ثم تمددت على الأريكة تفكر ، ثم غلبها الهم والتفكير فنامت .

عاد (وائل) فى المساء وطرق باب حجرتها بخفة فلم ترد ، فتح الباب فى هدوء فوجدها غارقة فى النوم على الأريكة الضيقة ملتفة فى الروب .. تأملها قليلاً ثم ذهب وأحضر غطاء ودثرها به ، شعرت (يُسر) كأنها تحلم بالغطاء يلقى عليها ، وعندما فتحت عينيها لم تجد أحدًا فى الغرفة ..

استيقظت فى الصباح لتجد الغطاء عليها حقيقة ، وليس حلمًا .. فاجتاحتها قشعريرة ..

قررت أن ترتدى ملابسها لتخرج وتحسم الأمر مع (وائل) سواء وافق أو لم يوافق ، عليها أن تسرع بالسفر والعودة إلى أمها وعملها .. هكذا بررت لنفسها : « لا يعقل أن أستمر فى الإقامة هنا دون طائل » .

خرجت فوجدته جالسًا أمام المائدة يتناول الإفطار ، فذهبت وجلست فى مواجهته هذه المرة .. تبادلت معه تحية الصباح وبدأت تأكل .. ثم شعرت به يهم بالخروج ، فوضعت يدها على يده تستوقفه ، فأسرع بسحبها ونظر لها محذرًا ، فعادت ترتبك قائلة :

ـ لم تخبرنى عن قرارك .

ـ فيم ؟!

سألها وكأن لا فكرة لديه عن موضوع تساؤلها .

ـ هل ستساعدنى ؟

صمت قليلاً وتصنع التفكير ثم قام ودار حول المائدة ، ووقف خلف مقعدها ، وقال :

ـ دعينى أفكر .

حاولت الالتفات والقيام ، فوضع كفيه على كتفيها لتبقى مكانها .

ـ انتظرى ، لا تشتتى تفكيرى .. تريدين السفر والبقاء فى الخارج لمدة سنة أليس كذلك ؟!

سار فى الحجرة فأسرعت تقوم لتتخلص من وضعها غير المريح .

ـ طبعًا الأوراق الرسمية والدورة التدريبية ذاتها متوقفة على « إذنى » ..

أكد على كلمة إذنى فنظرت له فى دهشة .. كانت لابد أن تتوقع أنه يعرف حاجتها له وأنه سيستغل الوضع .

أكمل :

ـ آسف ، أقصد « مساعدتى » لكِ .. لكنك لم تخبرينى ، ما الذى سأحصل عليه فى المقابل ؟!

نظرت إليه فى ذهول دون أن تستوعب كلامه أو تفهمه .

ـ ماذا ؟؟!!

ـ نعم ، ما استفادتى أنا من ذلك ؟!

عقد ساعديه أمام صدره ونظر لها متحديًا .

هزت رأسها وقالت فى تردد :

ـ لا أعرف .

نظر إليها من أسفل إلى أعلى ، من أخمص قدميها إلى قمة شعرها .. ثم قال باستهانة :

ـ بصراحة . لا . لا أرى أن لديك شيئًا يهمنى .

تركها واتجه نحو الباب وخرج .

انهارت جالسة تبكى ، شعرت أنه جرحها بكلامه وبأنها أخطأت بقدومها .. « هل هذا ممكن ؟ » تساءلت فى نفسها ..

هل هذا حقيقى ؟ هل من الممكن أن يتغير الإنسان كل هذا التغير فى شهور قليلة ؟!

شىء دخيل يملؤه سخرية ..

أو استهانة ..

أو قسوة ..

أو مرارة !

... معقول هذا (وائل) الذى تزوجته !

لقد تحول إلى شخص مختلف تمامًا ..

هل هذا هو الشخص الذى خطبت له ثلاث سنوات وعشت معه فى بيت واحد متزوجين سنة قبل أن يقيم هذا المشروع .. هل هذا هو الشخص الذى أحببته ؟؟!!

ملأتها التساؤلات ولم يخطر ببالها أنه لو تغير فعلاً فربما كانت هى السبب أو على الأقل لها يد فى هذا التغير .

أحست أن تواجدها هنا خطأ ، فقامت وشرعت فى لملمة أشيائها .. اصطدمت عيناها بالغطاء الموجود على الأريكة فأخذته وجلست ، طوته ، احتضنته وتساءلت لو كان هذا شعوره نحوها حقًا فلماذا اهتم بها ؟ احتارت : « ربما يعتبرنى مجرد ضيفة فى منزله » بررت متشككة .

لم تعد تدرى شيئًا ، لكن على الأقل عليها أن تعود فى الحال ، فقد أوضح موقفه بصورة لا تقبل أى شك .. إنه لن يساعدها ، ردًا على رفضها المجىء إلى هنا ..

اعترفت لنفسها بأنها لم تعطه أى فرصة ، لم تستمع لمنطقه ، ولم تسمح له بأن يحاول إقناعها ..

لقد توسل إليها وقتها لتأتى معه وترى المكان وتجرب الحياة فيه وأعطاها كلمته بأنها لو لم يعجبها فلن يجبرها على البقاء ، وسينزل لزيارتها كلما استطاع ، على أن تقضى كل إجازتها معه هنا ، لكنها استمعت لكلام أمها وقتها وسدت أذنها عن كل ما قاله وعاندته إلى أقصى درجة .

واليوم عادت تستمع لكلام أمها ، وأتت بنفسها إليه ليقتص مما فعلته .

فكرت أن معه حقًا وأنها تأخذ ما تستحقه ، لو كانت مكانه لفعلت مثله .

فكرت .. ربما تستطيع إصلاح الموقف بينهما قليلاً ، على الأقل تحاول ألا تترك مشاعر سيئة تنمو بينهما أكثر من ذلك .

خرجت لتبحث عنه ، نظرت أمامها فوجدت شابًا يسير مبتعدًا ، فنادته وسألته عن (وائل) :

ـ الباشمهندس سافر .

لم يزد ولم تسأله . بدا أنه متوقع علمها بسفره ، شعرت بالدهشة والغباء الشديد .. لِمَ لم يخبرها ؟

عادت إلى المنزل من فورها وجلست مالَّة تنتظره .

بمجرد دخوله نسيت كل أفكارها السابقة عن إصلاح الموقف ، وبادرته بالسؤال فى هجوم :

ـ لِمَ لَمْ تخبرنى بأنك ستسافر ؟!

ضحك ساخرًا ..

ـ ما هذه النعم التى أنا فيها .. زوجتى فى منزلى تنتظرنى لساعة متأخرة فى المساء ، وتسألنى لِمَ لَمْ أخبرها بسفرى ؟!

قسا صوته فى الكلمات الأخيرة فارتعشت فى داخلها ، وقالت :

ـ أنا أقصد أنى كنت أريد السفر أنا الأخرى .

ـ لكنى كنت أحتاج إلى السيارة فى عمل لا يمكن تأخيره .. ومع ذلك أنت لم تخبرينى برغبتك فى السفر .

نظرت له متعجبة من أسلوبه فى الكلام ، فأكمل بابتسامة مزيفة :

ـ لقد ظننت أنك مستمتعة بالبقاء هنا ، وتريدين مد إقامتك .

ـ أنا أريد أن أسافر غدًا مبكرًا لو سمحت .

ـ آسف جدًا ، السيارة بها عطل وسيقوم المختص بتصليحه غدًا .. وعلى هذا لن تستطيعى اللحاق بالأتوبيس ، اتركيها لبعد غد .

ـ لكن ...

قاطعها :

ـ لكنك ماذا ؟ لا تطيقين الحياة يومًا آخر هنا ؟!

اقترب منها فتراجعت إلى الوراء بتلقائية ، فظنها خائفة منه فأثاره هذا .

- أنا أيضًا لا أريدك هنا ، لا تقلقى أنا لا أعطلك ولا أحتجزك ، أنا متلهف أكثر منك لموعد مغادرتك .. بعد إذنك أريد أن آخذ حمامًا وأنام ، أنا متعب من السفر وعندى عمل فى الصباح الباكر .

قال الكلام من وراء قلبه وهو أكثر واحد يعلم كم يريدها هنا ، وكم يتمنى أن تبقى لكنه لن يتوسل إليها ، تركها وانصرف .. ودخلت هى إلى حجرتها تدمدم : « متعب ! لا يبدو عليه ذرة تعب واحدة » .

تذكرت (باسم) الذى سافر ولم يعد « لو كان هنا ! » .

تمتمت مع نفسها ، استدركت وضحكت من سذاجتها : « لو كان هنا لتحامل مع (وائل) علىّ » .

دخلت لتنام ، وهى تشعر بهم ثقيل جاثم على صدرها ..

★ ★ ★

صحت مبكرًا على صوت زوجها فى الصالة يعد الطعام ، فقررت ألا تخرج كى لا تراه ..

خططت أن تسأله فى المساء عن السيارة إن كانت أصلحت أم لا ، وإن لم تكن أصلحت بعد فالأفضل أن تتصل بأمها لترسل لها سيارة خاصة تأخذها من هنا وتعيدها إلى المنزل .

بعد وقت قدرت أنه طويل وكافٍ ، توقعت أنه خرج - خاصة وأنها لم تسمع أى صوت فى الصالة لفترة - فخرجت من الحجرة لتفاجأ به جالسًا على كرسى فى مواجهة الحجرة ، كادت تستدير عائدة إلى الحجرة لولا أنها فكرت أن ذلك سيكون دليلاً على جبنها ..

لم تخفِ رغبتها فى الفرار عن عينيه ، فسارع يكلمها :

- ألن تتناولى طعام الإفطار ؟!

نظرت إلى المائدة لتجد الطعام عليها .. كان مستمرًا فى معاملتها كالضيوف ..

قالت لنفسها : « لا بأس » وجلست أمام المائدة لتأكل ..

شعرت بالضيق لأنه يراقبها ، فتناولت القليل من الطعام .

تصنعت الاستمرار فى الأكل محاولة التظاهر بأنها لاتأبه لوجوده ، لكنها لم تنجح ، سألت نفسها : « لماذا لم يذهب إلى العمل الذى تكلم عنه بالأمس ؟ » .

ـ أليس لديك عمل ؟!

لم تستطع منع نفسها عن السؤال .

ـ لا يوجد شىء لا يمكن تأجيله .. لم تخبرينى ما خططك .

ـ سأعود من حيث أتيت .

ـ والأوراق ، والدورة التدريبية ، هل ستتركينها هكذا !!

ـ ألم ترفض ؟!

ـ وإن كان .. ألا يوجد فى جعبتك شىء ؟!

ـ ماذا تعنى ؟!

ـ ألن تطلبى الطلاق ؟

ـ وهل تقبل ؟!

أجابت بسرعة مدافعة عن نفسها حتى لا يظن أنها لا ترغب فى الطلاق دون أن تفكر فى معنى كلامها ، فرفع حاجبيه مستغربًا :

ـ أهذا ما يمنعك من طلبه ؟ أخبرينى إذنْ لِمَ لَمْ ترفعى قضية طلاق أو حتى خلع ؟!

فكرت فى نفسها حقًّا لِمَ لم تفعل ، فلا يعقل أن تستمر حياتها مع (وائل) هكذا ، تعللت بحجج كثيرة دون أن تحاول الاعتراف بأنها لا تريد الطلاق .

ـ أنا لا أريد الدخول فى مشاكل .

بررت له كما تفعل مع أمها ، كان سعيدًا لأنها لم تقل إنها تريد الطلاق ولم تطلبه ، لكن تبريرها كان واهيًا .

ـ لكن والدتك أخبرتنى أن لديها بدل المحامى عشرة يستطيعون التكفل بالأمر .

ـ ماما كانت منفعلة ، أنت تعلم هذا .

دافعت عن أمها بصوت واهن .

نظر لها متفحصًا وأحس بضعفها ، فلم يرد أن يضغط عليها أكثر ، لم يكن يريدها أن تهاجم أمها أو أن تتمزق بينها وبينه ، فقط أرادها أن تأخذ موقفًا منصفًا ..

على أية حال لم يعد يضايقه دفاعها عن أمها كما كان يحدث قبلاً .. يكفيه أن (يُسر) هنا الآن ، وعليه أن يستغل وجودها هنا لتقريبها إلى المكان ..

قال ملطفًا :

ـ دعينا من هذا الجدال ألا تريدين جولة فى المزرعة ؟

كادت أن تسخر من وصفه للمكان بالمزرعة ، لكنها أمسكت لسانها .. كانت فعلاً متشوقة لترى المكان ، وترى حجم إنجازه فيه ..

« لا أحد بإمكانه أن يرفض دعوة للهدنة » ، هذا ما قررته فى النهاية .

* * *



٦

شعرت (يُسر) بالراحة لرؤية السماء واستنشاق الهواء الطلق ، بعد بقائها بين جدران البيت لساعات طويلة .. كانت تفتقد مشيها هى و(وائل) معًا وإحساسها بانسجام خطواتهما .

أخذها أولاً لعنابر تربية الأرانب وأراها بطاريات الأرانب ، أخذ يشرح لها بصبر كل تفصيلة تختص بالتربية ، ثم أخرج لها أرنبًا صغيرًا ، فأمسكت به بحذر وهى سعيدة به سعادة الأطفال ، وربتت على فروته تتحسس نعومتها تحت كفها ، فكرت فيه كطفل رضيع فأرجعته له .

نظر لها فى دفء ، وقال :

ـ أبقه معك قليلاً ..

ردت :

ـ لا ، أعِدْهُ لأمه أفضل .

أخذه منها وأعاده إلى مكانه وقد تغيرت تعبيراته .

ـ الأرانب تفطم سريعًا ولاتبقى مع أمهاتها إلى الأبد .

فهمت تلميحه الواضح ، فخرجت من العنبر على الفور ، تبعها وأمسك مرفقها .

ـ تعالى لأريك عنابر الدجاج .

تحركت معه ، كان صوت الدجاج مرتفعًا فاضطر (وائل) إلى رفع صوته وهو يشرح لها كل شىء عن التربية .

ثم قابلا (مصطفى) ابن عمه وشريكه فى المزرعة فتبادلا التحية .

ـ أنت تعرفينه طبعًا .

أومأت برأسها ، لم تلحظ أى دهشة فى عينى (مصطفى) على وجودها .

وإن كان اندهش فلم يَبْدُ ذلك عليه إطلاقًا .

رفع صوته وهو يقول لـ (وائل) :

ـ (شيرين) و (نادية) فى الحوض القبلى .

[م ٥ ـ زهور عدد (٩٣) زواج العمر]

تساءلت فى نفسها « (شيرين) و(نادية) من ؟! هل يوجد فتيات فى المزرعة ؟» .

ترددت هل تسأله أم لا ؟ خافت إن سألته أن تظهر نبرة الشك فى صوتها ، ويعرف أنها تغار ..

قررت أن تصبر قليلاً ؛ لأنه سيخبرها بالتأكيد وهو يعرِّفها عليهما .

وجدت أمامها مساحة أرض واسعة كلها خضراء ، مغطاة تمامًا بزرع أخضر قصير وحوله أشجار أكبر بدرجة ملحوظة فاندهشت من وجود هذه المساحة الخضراء الواسعة التى لم تستطع رؤيتها من نافذة المنزل .

وعندما لاحظ دهشتها قال :

ـ هذه الأشجار مزروعة لتكون مصدات للرياح ، زرعنا شتلاتها أول شىء أمامها ، سنوات وتصبح أشجارًا ضخمة .

تكلم وكأنه يسعده أن يقضى باقى حياته يراقبها تنمو .

ـ ما هذا الزرع ؟

ـ برسيم .

نظرت له مستنكرة ..

ـ هل تزرع كل هذه المساحة برسيمًا !

ضحك منها .

ـ نزرعه لتثبيت التربة وإصلاحها لزراعات أخرى .

لم تفهم معنى كلامه بالضبط لكنه قاله كشىء مسلم به ، فخافت أن تعاود سؤاله فيظهر جهلها .

كما أنه انشغل عنها بالإشارة لامرأتين والاتجاه نحوهما ، فاضطرت لاتباعه حتى لا تحرج نفسها .

عرَّفها عليهما فحيتهما .

ـ (شيرين) زوجة (مصطفى) و(نادية) أختها .

ـ (يُسر) .

عرفهما عليها دون أن يزيد كلمة .

لكن (شيرين) رحبت بها وكأنها تعرفها برغم أن (يُسر) لم تحضر حفل زفافها على (مصطفى) لأنهما تزوجا بعد انفصالها عن (وائل).

لم تفهم (يُسر) علاقة (نادية) بالمكان، ولِمَ هى هنا؟ إذا كانت أختها مضطرة للحياة هنا مع زوجها، فما سبب وجود (نادية)! مجرد زيارة لأختها؟!

قالتا فى صوت واحد:

- (فؤاد) و (أحمد) كانا يسألان عنك.

- سأذهب إليهما على الفور.

تحرك فتبعته (يُسر).

- انتظر.

أسرعت (شيرين) باستيقافه.

- نريد دعوتكما على العشاء.

- ولِمَ لا أدعوكم أنا، هل مللتم من دعوتى؟

- طبعًا مللنا.

قالت (شيرين) مازحة، ثم أكملت فى جدية:

- لا نريد أن نتعب (يُسر)، كما أنى أريد أن أريها بيتى.

- حسنًا، سنأتى فى السابعة مساءً.

تضايقت (يُسر) لأنه لم يأخذ رأيها، وأحست أنه يتجاهلها.

سار مبتعدًا، فسارت معه حتى ابتعدا عن (نادية) و(شيرين) حتى لا يسمعاها.

قالت:

- أريد أن أعود إلى المنزل، ما دمتَ ستعمل.

- كما تريدين .. عمومًا لم يبق الكثير لأريك إياه.

تمشى فتركها.

نادته:

- (وائل).

سأل فى نفاد صبر :

ـ ماذا ؟!

ـ ألن تعيدنى إلى المنزل ؟!

ـ لِمَ ؟

ـ لا أعرف كيف أعود !!

ابتسم ساخرًا ، فلم يكن يحجب المنزل إلا جزء من مبنى آخر ، وقال :

ـ هذا المبنى يسكن فيه الشباب ، (باسم) و(أحمد) و(فؤاد) وغيرهم ممن يأتون إلى العمل ، دورى حوله وستجدين البيت أمامك مباشرة كما ترين لا يوجد زحام هنا .

لم تتحرك ، نظر إليها ليتأكد أنها فهمت ، فوجد عدم الفهم مرتسمًا على وجهها .

أمسك يدها وجذبها معه ، وجدت المنزل فعلاً أمامها عن بعد .

ـ هذا المنزل هناك هو البيت تستطيعين معرفة طريقك إليه وحدك ، نحن داخل المزرعة ولن تتوهى . فقط امشى على خط مستقيم .

كان يسخر منها ويكلمها كأن غباء الدنيا قد حُطَّ عليها ، شعرت بالغضب من طريقته ، لكنها لم تعلق .

من أين لها أن تعرف الطريق ، كانت تمشى معه ، فلم تفكر فى الانتباه للطريق ، كما أنها جاءت إلى المزرعة فى الظلام .

ومع ذلك لامت نفسها على كلامها دون تدبر .

قالت لنفسها مؤنبة :

« بالتأكيد كنت سأجده وحدى لو حاولت » .

ـ شكرًا على الشرح .

تكلمت دون أن تنتظر لـ (وائل) ثم تركته وذهبت غاضبة فى اتجاه المنزل ، وهى تعنف نفسها :

«أنا المخطئة لأنى وافقت على التجول فى المزرعة . أنا لم آت هنا لأراها أو لأتعرف على ناس .. جئت لأطلب منه الإذن وأسافر » .

فكرت أن عليها الإسراع بالسفر ثم عادت تتعلل : « قد أبقى ليومين فقط ، إنها إجازتى على كل حال ، كما أنه قد يوافق فى النهاية على سفرى لفرنسا » .

فتحت باب المنزل ودخلت ، شعرت بالراحة ، وبأنها بدأت فى الاعتياد على المنزل خاصة مع مساحته الواسعة .. « فقط يحتاج لبعض التعديلات » .

دارت تتفحص كل شىء هذه المرة متذكرة خططها لتزيين منزلهما التى لم تنفذ .

مدت يدها بتلقائية لتحرك منحوتة خشبية من مكانها إلى زاوية أفضل . مفكرة فى قلة الأشياء التى استخدمها (وائل) للتزيين .

أعادتها كما كانت ، ثم ضايقها شكلها فعادت تضعها

كما ترى هى قائلة لنفسها فى تَحَدٍّ : «فليتنبه أو لا ، ما دمت هنا فستبقى حيث أضعها » .

كان المنزل منظمًا ، ومع ذلك أرادت أن تشغل نفسها بشىء فأخذت تنظفه .

ثم دخلت لتأخذ حمامًا متذكرة أن عليها الحرص فى استخدام المياه .. فى الحقيقة هى كانت تعلم بعض الأشياء عن الحياة فى المزرعة هنا ، فبرغم حرص (باسم) على ألا يتكلم عن (وائل) إلا أنه كان يحكى عن الحياة فى المزرعة عندما يأتى فى إجازاته القصيرة للاطمئنان عليها وعلى أمهما .

« لكنه لم يذكر (نادية) هذه » فكرت (يُسر) فى قلق قبل أن تغفو على الأريكة التى بدأت تعتاد النوم عليها .

* * *

أفاقت (يُسر) على صوت (وائل) يناديها من الصالة ، أغراها النعاس على أن تعاود النوم . لكنها سمعت خطواته تقترب من الباب ، فانتفضت جالسة وردت :

ـ نعم .

ـ الساعة السادسة والربع .

ـ ماذا سيحدث الساعة السادسة والربع ؟

أجابت وهى لم تتخلص من آثار النوم .

ـ الساعة الآن السادسة والربع .

كان صوته أمام الباب مباشرة ، فقامت وفتحت الباب وجدته يرتدى ملابس مختلفة ، ويبدو عليه أنه انتهى من الاستحمام منذ قليل .. نظرت له نظرة فارغة ، فهى لم تفهم مامعنى أن الساعة الآن السادسة أو التاسعة ..

ـ لقد أخذنى النوم .

ـ أعلم ، لقد ناديت عليك لتتناولى طعام الغداء فلم تجيبى .

ظنت أنها غفت نصف ساعة فقط ، وليس ساعات طويلة ، ومع ذلك فماذا يريد منها ؟

تركها وذهب ليجلس ثم أمسك كتابًا وبدأ يقرأ ، شعرت أنها بلهاء فى وقفتها المتسمرة أمام باب الحجرة ، ذهبت ناحيته ، وقالت :

ـ ألم تنادينى ؟!

ـ أجل .

رفع رأسه لحظة ثم عاد يقرأ دون أن يقول أكثر من هذا .

ـ ولم تكن تريد شيئًا ؟

ـ ألن تجهزى نفسك لدعوة العشاء ؟!

تذكرت دعوة العشاء التى لم يسألها رأيها قبل أن يقبلها ولابعد ما قبلها فى الحقيقة ..

أرادت أن تعاند معه وترفض الذهاب ثم عادت وفكرت .. إنه ليس من الحكمة خلق عداءات جديدة وإغضابه دون سبب ..

كما أن أوان رفض الدعوة قد فات ، ولايصلح أن تتعمد إحراجه مع أقربائه ، فذهبت لترتدى ملابسها فى صمت .

* * *



كان الظلام قد انتشر برغم أن الساعة لم تكن وصلت السابعة بعد ...

ولم يكن يضىء المكان إلا النجوم والقمر .. بدت السماء صافية بدرجة مذهلة وبصورة لم تشاهدها (يُسر) من قبل، والنجوم كبيرة والقمر كذلك .

فكرت أنه بالتأكيد خداع بصرى أو شىء من هذا القبيل . فالسماء واحدة فى كل مكان ، وكذلك النجوم والقمر ..

تعثرت فسارع يمسك بمرفقها .

قالت :

ـ أنا غير معتادة على المكان ..

أرادت أن تبرر ـ وهى محرجة ـ لكنه تضايق من تبريرها ، وقال :

ـ وخطأ من هذا ؟

لم تفهم لماذا يأخذ كل كلامها على محمل سَيِّئ .

ـ أنا أقصد الظلام ..

ـ فقط انظرى أمامك .

بعد لحظات اعتادت عيناها على الظلام .

ـ أين منزل (مصطفى) و(شيرين) ؟ لم تُرِهِ لى .

أرادت أن يتكلم لتسمع صوته .

ـ على بعد خطوات .

ـ هل تعيش (نادية) معهما .

لم تستطع كتم فضولها ..

ـ طبعًا .

ضايقتها إجابته المقتضبة .. لم ترغب فى سؤاله أكثر عن (نادية) .

فوجئت بمنزل أمامها ، كان الباب مفتوحًا ، والمصباح على بابه يضيء مدى واسعًا حوله .. كيف لم تر كل هذا الضوء ؟

فى الحقيقة كان الضوء منتشرًا فى كل مبانى المزرعة ، حتى منزلهما ، كان (وائل) قد ترك المصباح على بابه مضاءً .

طرق (وائل) على الباب المفتوح ودخل ، فتبعته (يُسر) .

ـ السلام عليكم ..

لم يرد عليه أحد .

نظرت (يُسر) إلى المنزل ، كان مختلفًا تمامًا عن منزلهما هى و(وائل) برغم أنه نفس الاتساع والبساطة ، ولكنه كان أكثر حميمية وألفة وبهجة .

جاءت (نادية) فى لحظتها ، وردت :

ـ وعليكم السلام ورحمة الله .

رحبت بهما .

ـ أين (مصطفى) و(شيرين) ؟

سألها (وائل) :

ـ مشغولان فى تحضير الطعام ، لقد أعدا أطنانًا منه .

ـ لمن كل هذا ؟!

ـ لاتقلق لن أتركهما يجبرانك على تناوله .

تبادلا الضحكات والمزاح وأحست (يُسر) أن موقفها سخيف وأن لامكان لها بينهما . واضح أنهما يعرفان بعضهما جيدًا .. فكرت فى ضيق ..

دخلت (شيرين) ومن خلفها (مصطفى) ، ودخلا فى حوارٍ مع (نادية) و(وائل) . هى وحدها شعرت أنها خارج أسوار حميمة حوارهم . حتى إذا اشتركت بتطيق أو سألتها (شيرين) رأيها .. فهمت (يُسر) من حديثهم أن (نادية) مهندسة زراعية وأنها تساعد فى العمل .

سرعان ما جلسوا على مائدة الطعام . شعرت (يُسر) بالجوع الشديد بعد أن ذكرها شكل الطعام أنها لم تتناول شيئًا .

سأل (وائل) :

ـ ماذا حدث . أين نصيب (فؤاد) و(أحمد) ؟

ردت (شيرين) :

ـ لاتقلق سأرسل إليهما ، فكرت أن أؤجل الدعوة الجماعية لحين مجيء (باسم) .

تبادلوا جميعًا النظرات وابتسموا ، (يُسر) الوحيدة التى لم تفهم .

استمرت فى تناول الطعام بآلية ، لم يكن هناك من يشاركها الأكل إلا (شيرين) وقد فرغت (نادية) و(وائل) و(مصطفى) من الطعام ، وشرعوا فى تناول الحلوى والكلام ..

توقفت عن الأكل وقد شعرت أنها امتلأت ، امتدحت (شيرين) وجودة طهيها .

ـ لاتنسينا .

علق (مصطفى) وأكمل عندما نظرت نحوه :

ـ نضف هذا الطعام أنا أعددته .

بدأت (شيرين) و(نادية) فى نقل الأطباق ، وساعدهم (مصطفى) فى البداية ثم تركهم . وعندما عرضت (يُسر) المساعدة أصروا على ألا تفعل فجلست مع (مصطفى) و (وائل) .

قال (مصطفى) :

ـ أتصدق يا (وائل) لم تتوقف عن تناول الطعام ، شهيتها مفتوحة ووزنها يزيد ، وأنا لا أريد منعها .

لم تفهم (يُسر) عمن يتكلمون .

جاءت (نادية) و (شيرين) وجلستا معهم .

قالت (شيرين) :

ـ سمعت حديثكم . مالك ومالى يا (وائل) آكل أو لا ..

ـ حرام عليك الجنين سيختنق من كثرة الأكل .

ـ لماذا ؟ أنا آكل زيادة لأطعمه وأغذيه .

ضحكوا جميعًا مما قالته .

نظر (وائل) لـ (يُسر) التى لم تستطع منع نفسها من مبادلته النظرات مبتسمة . تحولت نظراته من نظرات دافئة إلى نظرات قاسية . وفهمت ما يعنى فانطفأت ابتسامتها ، كان يلومها على حرمانه من الحياة الأسرية والأطفال ، كانت تعلم ذلك .

* * *

شعرت بمشاعر فياضة تملؤها وهى فى طريقها إلى المنزل ، وتمنت لو أن لها هى و(وائل) حياة دافئة وثرية مثل (شيرين) و(مصطفى) .. مشت بخطوات بطيئة لتنعم بالجو والمكان والهدوء ، ومشى معها (وائل) بنفس الخطوات لكن لأسباب أخرى تمامًا .

كان قد استنفد كل صبره فى هذه اللحظة ووصل لحالة من اليأس وفكر أنه واهم فى أمله فى عودة (يُسر) ، وتساءل : « إلى متى سيظل ينتظر أن تعود لصوابها ؟ » .

عاد يسأل نفسه ويلومها لماذا استخدم هذه الحجج الواهية لاستبقائها ، وهى لم تأت إلا لغرض واحد ،

الحصول على مساعدته لتسافر ، وكل ما ستقوله أو تفعله لن يكون إلا لهذا الغرض ، قرر فجأة أنه سئم الانتظار ، لم يتخيل أنها فى هذه اللحظة بالذات قد ألقت كل دفاعاتها وستعود إليه بترحاب إذا طلب منها هذا ، بل وحتى لو لم يطلب .

عندما دخلا المنزل لم تتجه لحجرتها لتنام وكذلك فعل (وائل) فجلسا فى الصالة ، لكنهما لم يتكلما ، نظرت إليه فوجدته سارحًا .

تمنت أن تكسر حاجز الصمت .. تمنت أن تطلب منه أن يسامحها وتبدأ معه صفحة بيضاء ..

نادته فلم يرد عليها ، ظنت أنه لم يسمعها فلمست يده تنبهه .

فقام منتفضًا وكأنما لسعته نار ، وكان هذا فى الحقيقة إحساسه ، أحس بلمستها تحرقه ، دهشت من رد فعله وانطلق اسمه من بين شفتيها :

ـ (وائل) !!

ـ فقط ابتعدى عنى .. ولا تلمسينى أبدًا .

تمتم بغضب ودخل حجرته وصفق الباب خلفه بعنف شديد ..

وقفت محتارة لاتفهم فيم أخطأت ؟ وماذا فعلت لتشعل ثورته وغضبه ولِمَ لم يعطها فرصة لتكلمه ، دخلت فى النهاية إلى حجرتها مغلوبة على أمرها ..

استلقت على الأريكة أرقة لوقت متأخر وحمدت الله على أنها استيقظت متأخرًا كى لاتضطر لمواجهته فى الصباح .

اغتسلت وبدلت ملابسها ، ومع ذلك لم تفق ، توجهت إلى المطبخ لتعد فنجان قهوة لعلها تفيق ، فوجئت بطرقات على الباب فأنزلت القهوة من على النار وسارعت إلى الباب .

سألت دون أن تفتح الباب :

ـ من ؟

ـ السلام عليكم ، أنا (مصطفى) .

واربت الباب .

ـ وعليكم السلام .

ـ هل الباشمهندس بخير ؟

ردت مندهشة :

ـ (وائل) !!

ـ عندما لم يأت ظننا أنه تأخر فى النوم ..

سعل فى حرج قبل أن يكمل :

ـ لكنه تأخر لوقت متأخر جدًا بغير عادة ، هل هو بخير ؟

لم تعرف كيف ترد .. لم تجد حلاً إلا أن تقول :

ـ سأناديه لك . تفضل .

ـ أفسحت له الطريق ليدخل ، لكنه لم يتحرك .

ـ لاداعى .. اتركيه على راحته مادام بخير . وأنا لدى عمل كثير . عندما يستيقظ أبلغيه أنى مررت وحسب .

ألحف فى حرج ، وانصرف .

أغلقت الباب واستندت إليه والتوتر يملؤها ..

« إذن هو فى المنزل ولم يخرج كما تصورت » .

وهى تصغى لخطوات (مصطفى) المبتعدة ، تمنت لو أنها أصرت على أن تنادى (وائل) ، ربما كان خرج مع ابن عمه ، بدلاً من التوتر القاتل الذى تشعر به الآن .

دخلت إلى المطبخ .. كانت القهوة قد بردت ، ومع ذلك أفرغتها فى فنجان وتجرعتها دون أن تشعر بطعمها .

فكرت مترددة .. هل عليها إخباره بقدوم مصطفى .. ربما غرق فى النوم وضاع عليه ميعاد العمل . أو ربما كان مريضًا ، مر بذهنها هذا الخاطر فآلمها وأقلقها ..

لم تعد تعرف شيئًا .. وقفت أمام باب حجرته مترددة ، ثم جمعت أطراف شجاعتها وطرقت الباب طرقة خفيفة .

- (وائل) !!

خرج صوتها أجش غريبًا ، حتى على أذنيها ..

لم يرد عليها فعادت تطرق الباب وتناديه .. لم يرد للمرة الثانية .

وضعت يدها على مقبض الباب تفكر فى فتحه ، رنت فى أذنيها كلماته : « ابتعدى عنى » ..

فكرت : « سألقى نظرة فقط ، أطمئن وأذهب على الفور » .

واربت الباب وهى ترتعش .. وجدته مُستلقيًا على السرير الغارق فى الفوضى ، كأنه كان يتشاجر فوقه .. الجزء الظاهر من وجهه غارق فى العرق ، وإحدى يديه متدلية تمس الأرض .

أغراها استغراقه الواضح فى النوم على التقدم فى الحجرة ..

اقتربت منه ومست جبينه لتجده خلافًا لتوقعها .. إنه بارد ..

شعرت بهواء بارد يغمرها من أعلى ، رفعت رأسها فرأت المروحة المعلقة فى سقف الغرفة تعمل بأقصى سرعتها .

اتجهت نحو مفتاح تشغيلها وأبطأت سرعتها لأدنى درجة ممكنة ..

جلست بجوار زوجها .. مدت يدها تدفعه بلطف ليستيقظ ، لكنه لم يستجب لها ..

نظرت إليه بحرية لم تتح لها من يوم جاءت إلى هنا ، كانت تريد التأكد مما تغير فى شكله ، السمرة التى اكتسبها ، بعض الخطوط التى بدأت تحفر طريقها فى وجهه ، أم تكوينه الجسمانى الذى تبدل ككل ، بدا أنحف ، لكن أقوى ، وكأن عرض كتفيه قد زاد ، لم تستطع التحديد بدقة ، الوقت يداهمها ، وهو قد يصحو فى أى لحظة ليجدها تتأمله .

همست تناديه ، لكنه لم يرد .

شعرت بقلق حقيقى ..

هذه المرة لكزته بقوة ونادته بصوت مرتفع ، ولما

لم يرد أمسكت كتفيه وأخذت تهزه بقوة وهى تنادى اسمه وتبكى ..

فتح عينيه ببطء ، كانت نظراته مندهشة ومتسائلة ..

سألته بلهفة :

ـ هل أنت بخير ؟

أغمض عينيه للحظة ، فخيل إليها أنه سيعاود النوم لكنه عاد يفتحها فى بطء ..

تمتم بشفاهٍ جافة :

ـ أريد القليل من الماء .

سارعت بصب كوب من الماء وساعدته ليرفع جسده ثم أسندته بيدها ليشرب ..

شرب وعاد يستلقى متعبًا .

ـ هل أنت مريض ؟!

نظر لها متفحصًا ، وأجاب :

ـ لا ..

قامت ووقفت بجوار السرير .

قالت مبررة وجودها وسؤالها :

ـ لقد .. لقد جاء (مصطفى) يسأل عنك .

ـ خمس دقائق آخذ حمامًا وأفيق .

بدأ يستعيد صوته مرة أخرى .

ـ هل أنت متأكد أنك تستطيع تَدَبُّرَ أمرك .

نظر لها بحدة :

ـ أنا أتدبر أمرى منذ مدة طويلة .

خرجت من الحجرة من فورها ، تساءلت فى ألم : « لماذا يعاملنى هكذا ؟» .

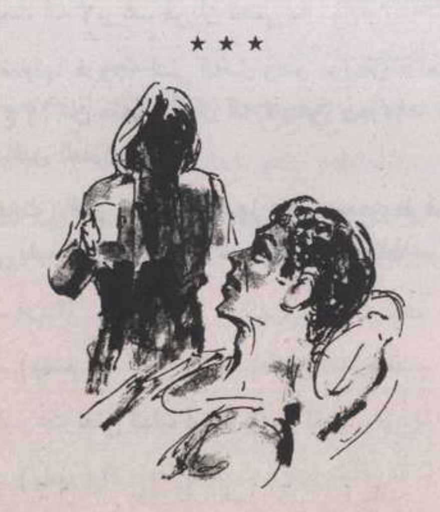
كان يبعدها عنه وكأنها إنسان غريب عنه ، ومزقها هذا ..

حقيقة إنه لم يقل لها هذه المرة بالنص :

« ابتعدى عنى » ، لكن كلماته هذه كانت أشد قسوة عليها ..

قررت أن تسافر ، فكرت متحيرة : « لم يعد هناك معنى لوجودى ، سأبقى لأرى إذا كان بخير كما يدعى ، ثم أذهب من فورى » .

* * *



٨

لم يَبْدُ (وائل) فى عينيها بصحة جيدة ، لكنها تراجعت عن فكرة البقاء للاطمئنان عليه ، فقد أدركت من سلوكه أنه لايريدها أن تشعر به ، ففهمت أنه لايرغب فى أن تعتنى به .

ضايقها خروجه إلى العمل وهو مريض « لماذا خرج إذا كان متعبًا ، أيعقل أنه لايطيق وجودهما معًا فى نفس المنزل ؟ » .

كانت الأفكار تعصف برأسها عندما سمعت طرقات على باب المنزل « أيكون هو ؟ إن معه مفتاحًا » .

ـ من ؟!

ـ (باسم) ..

أسرعت تفتح الباب فرحة بقدوم أخيها .

ـ (باسم) !!

سعدت برؤيته ، كان لديها أسئلة كثيرة له ، كما أنها أرادت أن تتكلم معه ، لم تتبادل حديثًا عاديًا مع أى شخص منذ جاءت إلى هنا .

بادرته قائلة :

ـ كيف حالك ، متى عدت ، وما الأخبار ، هل أنت بخير الآن ؟

أفسحت له الطريق ، لكنه لم يدخل .

ـ ادخل يا (باسم) .

ـ لا أستطيع ، لدى عمل .

لم يكن لديه استعداد أن يجلس ليجاذبها أطراف الحديث ويترك عمله .

ألحت عليه فى رجاء :

ـ خمس دقائق فقط .

أجابها :

ـ أنا أخذت إجازة طويلة والعمل كثير .

ظهر كل إحباطها على وجهها ، وبدأت تبكى فدخل (باسم) ليرى ما بها .

ـ ماذا هناك ، ماذا حدث ؟

قالت بين شهقات البكاء :

ـ إنه (وائل) .

أخذها (باسم) وأجلسها وجلس أمامها .

ـ ما به ؟

ـ لا يريدنى .

فكر (باسم) إن كان هذا حقيقيًا فإن معه عذره ، ولكنه أسَرَّ رأيه فى نفسه فهى لا تتحمل أن يقول لها ذلك فى حالتها هذه .

ـ من قال هذا ؟

ـ هو .. كلما كلمته يطلب منى أن أبتعد عنه ، والآن هو مريض ولا يريدنى أن أعتنى به .

قال (باسم) فى أسى :

ـ آه .. أرجوك لا تكلمينى عن العناية بالمرضى .

نظرت له وابتسمت ، أدركت أنه يتكلم عن أمها .

ـ أجل ، هكذا ابتسمى أحسن ، يكفينى ما رأيت من مرارة هناك .

أخرج منديله وبدأ يمسح دموعها .

ـ بغض النظر عما يقول (وائل) ، ماذا تريدين أنت ؟

ـ لا أعلم .

كانت حائرة فعلاً ولا تستطيع أن تتخذ قرارًا ، خاصة وأن (وائل) يبعدها عنه بهذه الطريقة .

ـ ما زلت لا تعلمين يا (يُسر) .

كان اللوم واضحًا فى نبرته فأسرعت تبرر له :

ـ أنا خائفة يا (باسم) لا أعلم بعد إن كانت الحياة هنا تناسبنى أو إذا كان بإمكانى أن أقضى باقى حياتى هنا .

أعرف أن (وائل) يسخر من فرصة السفر لكنها كانت أحد أحلامى .. كما أن هذه المزرعة أحد أحلامه .

ـ أنت لم تشاركيه حلمه .

ـ أعلم .. لكن ...

عجزت عن إكمال الكلام ، أتعود لتقول إنه ليس من العدل أن تترك عملها ، لم تعد تعرف ما هو العدل وما هو الظلم .

ـ ماذا تريدين الآن ؟

ـ لا أعرف ، لابد أن أسافر فى النهاية .

ـ ما دمت ترين ذلك .

نفض يديه منها .

ـ أفكر فى أن أسرع بالسفر .

ـ و (وائل) ؟!

ـ هو لن يقبل أن أعتنى به .

ـ وفرصة السفر ؟

ـ لم تعد تهمنى لهذه الدرجة ، ليس لدرجة أن أتخلى عن الباقى من كرامتى وكبريائى .

استفزه كلامها عن الكبرياء والكرامة .

ـ وماذا يهمك لدرجة أن تتخلى عن كرامتك وكبريائك ؟

نظرت لـ (باسم) مندهشة ، كانت المرارة فى صوته قوية ، لأول مرة يتناقشان فى هذا الأمر بهذه الطريقة ، كانت أمها موجودة بينهما دائمًا تدافع عنها .

تساءلت فى نفسها : ماذا يقصد بهذا الكلام ؟

قالت :

ـ (باسم) ، إن من الصعب علىَّ أن أعترف بذلك حتى لنفسى ، لكنى حاولت .. صدقنى .

سارع يسألها :

ـ حاولت ماذا ؟

ـ حاولت أن أعود أنا و(وائل) كما كنا لكنى لم أستطع ، لقد تغير .

ـ (وائل) لم يتغير .

ـ هذا ما تظنه ، على الأقل تغير من ناحيتى .. ربما تبدلت مشاعره نحوى ، ربما وجد أخرى تشاركه حلمه .

ـ ما هذا الكلام ؟! (وائل) لم يتغير فى أى شىء ، ابقى وسيزول أى سوء تفاهم بينكما .

ـ لا أستطيع أن أبقى وهو لا يريدنى .. افهمنى .

ـ (يُسر) ..

قاطعته قبل أن يكمل كلامه :

ـ ماذا ؟

فكر ماذا سيقول لها .. ليس من حقه أن يختار لها ..

ـ لا شىء ، افعلى ما ترين فيه الإصلاح .

قام ، وهو يقول :

ـ عن إذنك لا بد أن أذهب .

تحرك فنادته ، كانت تريد أن يبقى معها قليلاً :

ـ (باسم) .

ـ نعم .

لم يتوقف إلا أمام باب البيت .

ـ هل تساعدنى على السفر ؟

ـ كل ما تريدينه سأفعله ، سأمر عليك فى المساء ، بإذن اللّه ؛ لنتفق .

ودعته وجلست تفكر إن هذا كل ما تملكه « لقد رفضنى » آلمها الوصول لهذه القناعة .

مرت حياتها مع (وائل) أمامها ، شريط طويل من الذكريات السعيدة والأحلام ..

من يوم تعرفت إليه إلى يوم انفصالهما لم يكن هناك إلا القليل من المنغصات ، معظمها ـ إن لم يكن كلها ـ كان بسبب محاولة أمها التدخل فى حياتها مع (وائل) .

تذكرت سعادتها مع (وائل) .. كل الكلمات الجميلة التى قالها لها .. كل الأحاديث التى تبادلاها ..

بكت وبكت .. كأنها تبكى كل لحظة سعادة قضتها مع (وائل) ..

« لماذا عمر السعادة قصير ؟! » لم تكن لديها إجابة واضحة .

« هذه المزرعة أخذته منى » فكرت فى غضب ، ثم عادت تتراجع « أو ربما عنادى » .

فكرت .. أيًا كان السبب فلم يعد هناك فرق .. ما حدث قد حدث ، وعليها أن تلملم ما تبقى منها وتذهب .

عندما جاء (باسم) فى المساء أخبرته أنها تريد أن تركب الأتوبيس الذى يسافر فى الصباح ، فأخبرها أنه

سينتظرها بالسيارة أمام البيت الساعة السادسة والنصف ، وتركها دون أن يحاول إقناعها بالبقاء .. لكن تعبيراته وطريقته فى الكلام أفصحت عن عدم رضاه عما تفعله .. كانت تعلم من البداية أن هذا رأيه ..

دخلت حجرتها لتنام كى تستيقظ مبكرًا ، لكن لم يغمض لها جفن طوال الليل ..

سمعت خطوات (وائل) عندما جاء متأخرًا فى المساء .

كانت خطواته أثقل من المعتاد ، وكأنه يجر قدميه جرًا .

تألمت لكنها لم تَقْوَ على القيام لتراه وتطمئن عليه ، لم يكن لديها أدنى استعداد لأن تسمع جملة « ابتعدى عنى » .. لم يكن لديها قوة لتتجادل معه ..

نظرت فى الساعة .. عادت تنظر فيها كل خمس دقائق . شعرت أن عقارب الساعة لا تتحرك ..

لم تَمْضِ فترة طويلة حتى أصبحت الساعة الخامسة والنصف .. قامت واغتسلت وارتدت ملابسها ولملمت كل أشيائها فى الحقيبة .

نظرت فى الساعة لتجد أن كل هذا لم يستغرق أكثر من عشرين دقيقة .. دارت فى الحجرة على غير هدى ، وكأنها محبوسة فى قفص ..

فى النهاية خرجت بهدوء إلى الصالة واقتربت من باب البيت ، وضعت الحقيبة بقربه ثم ذهبت لتجلس ..

خيل إليها أنها تسمع صوت سيارة آتيًا من بعيد فقامت وأخذت حقيبتها وفتحت الباب ، لكنها وجدت كل شىء ساكنًا وهادئًا ، فعادت تدخل وتغلق الباب .

ـ ما هذا ؟

فوجئت بـ (وائل) واقفًا أمامها يسألها ، فأجابته ببساطة :

ـ سأذهب .

نظر لها ساخرًا .

ـ دون أن تخبرينى !

ـ أليس هذا ما طلبته منى .. أليس هذا ما تريده ؟!

عاد يبتسم فى سخرية ..

ـ حقًا !!! تقصدين أليس هذا ما اخترته أنتِ لنفسك ؟!

ـ ألم تطلب منى أن أبتعد عنك .. ألم تقل إنك لا تريدنى ؟!

لم يرد فاستدارت إلى الباب لتخرج .

ـ انتظرى .

لم تهتم بكلامه وأمسكت مقبض الباب تديره ، فأمسك مرفقيها وأدارها نحوه ، وقال :

ـ قلت لك : انتظرى هنا .

حاولت مقاومته دون جدوى ، فسألته بأنفاس متقطعة :

ـ ماذا تريد ؟

لم يرد على الفور ، تأملته فلاحظت أنه ليس فى حالته الطبيعية ، كان يرتعش ، ولم تعرف أكان هذا تعبًا أم انفعالاً ..

بدأ يتكلم فى بطء :

ـ نعم ، لا أريدك ليومين حتى تقنعينى بأن أسمح لك بالسفر ثم تذهبين بلا رجعة .. لا أريدك أن تأتى فجأة من أجل مجرد فرصة سفر ، وتقومى بزيارتى التى رفضتِ أن تقومى بها من أجلى ، من أجل إعطاء زواجنا فرصة .. وفى النهاية أنا المخطئ .. أنا من لا يريدك هنا ..

اشتدت قبضته على ذراعيها فآلمتها .

ـ ضعى كل الذنب علىَّ كالعادة .

لم تجد ما تقوله له فظلت صامتة ، فعاد يكمل كلامه :

ـ ثم تعالى هنا وأخبرينى ، يا ترى جئت لتسألينى إذنى لأنى زوجك .. أم لأن الأوراق لن تستوفى إلا بإذنى ؟

سكتت ، فصاح بها :

ـ أجيبى .

فقالت مدافعة عن نفسها :

ـ أنت وعدتنى أنك ستوافق ، بل وترحب إذا جاءت لى مثل هذه الفرصة .

رد عليها مهاجمًا على الفور فى قسوة :

ـ لا تتحدثى عن الوعود وأنت أول من حنث بها ... ألم تعدينى أن تصحبينى حيث أذهب وألا تفترقى عنى أبدًا ؟

سكتت ولم ترد ، لم يكن لديها شىء تقوله ، أدارت وجهها بعيدًا عنه فترك يديها .

ـ اذهبى ..

قالها بصوت هادئ ، وقفت متسمرة دون أن تتحرك .. تركها ودخل بخطوات بطيئة .

أفاقت لنفسها وحملت الحقيبة وخرجت لتجد (باسم) ينتظرها ، ونظرات الاتهام تملأ عينيه .. ركبت معه دون كلمة ..

أوصلها للأتوبيس وتركها ، وذهب دون تعليق .

* * *



٩

عادت (يُسر) إلى منزل أمها وهى تشعر بالإحباط والاكتئاب .. كرهت تلك الدورة التدريبية التى تسببت فى اكتشافها إلى أى حد تدهورت علاقتها مع وائل .. كانت لآخر لحظة مازال لديها أمل كبير ، برغم انفصالهما .

كان لديها اعتقاد بل وثقة ، لاتدرى من أين ، بأن (وائل) سيجد طريقة ما ليعود إليها ويكفى أن تنتظره .

كل هذه الآمال تبددت الآن ، وقد تأكدت أن فى خيال (وائل) سيناريو مختلفًا للأحداث ..

دخلت المنزل ، سلمت على أمها ، وأسرعت تدخل حجرتها متحججة بتعب السفر ..

تمنت ألا تخرج من سريرها أبدًا ، تصنعت النوم أكثر من مرة عندما أتت أمها لتطمئن عليها :

- (يُسر) .

أصرت أمها على إيقاظها هذه المرة ، فاعتدلت في السرير .

ـ قومى لتأكلى .

ـ لست جائعة الآن .

عادت تستلقى على السرير .

ـ قومى إذن لتذهبى إلى العمل .

ـ ليس اليوم ، مازال أمامى يومان إجازة ..

ـ لكن يا حبيبتى اذهبى ولو لتنهى أوراقك .

ـ أى أوراق ؟

قامت (يُسر) معتدلة .

ـ أوراق السـفر إلـى فرنسـا ، وهـل هنـاك غيـره ؟

ـ (وائل) لم يوافق .

ـ لم يوافق !!! أتمزحين ؟ لقد أحضر (باسم) جواز السفر والموافقة من وائل ، لقد ذهبا معًا وأنهيا الأوراق المطلوبة .

لم تفهم (يُسر) كلام أمها ولم تصدق ، ظهر هذا جليًا على ملامحها .

ـ ألا تصدقينى !

ـ لكنه لم يوافق .

خرجت أمها من الحجرة وعادت بجواز السفر وقدمته لـ (يُسر) .

ـ خذى لتصدقينى .

أخذت (يُسر) جواز السفر وفتحته وقلبته غير مصدقة .

ـ متى فعلا هذا ؟

ـ بعد سفرك بيومين جاء (باسم) ، بعدها اتصل (وائل) به وأنهيا الأوراق وأعطوها لى ، لكن ألم يخبرك (وائل) .. أو (باسم) ؟!

ـ لا أعرف شيئًا ياماما .. لا أفهم .. عقلى سينفجر .

أمسكت (يُسر) برأسها .

ـ ماذا تريدين أن تفهمى أخبروك أو لا ، معك أوراقك كاملة ، أسرعى بالتقديم كى لا تضيع منك الفرصة ..

ـ لم تشعر (يُسر) بالفرحة التى توقعتها .. لم تعد فرصة السفر تعنى الكثير لديها ، كما كانت من أسبوعين مضيا ..

سألتها أمها قلقة :

ـ ماذا بك يا (يُسر) ؟!

ـ لا أعرف شيئًا ياماما .. ربما لم أعد أريد السفر .

ـ لِمَ يا بنتى ؟

ـ أشياء كثيرة تغيرت .

لم تزد (يُسر) فى الكلام ، ولم يَبْدُ لأمها أن لديها أى استعداد للكلام ، فتركتها .

★ ★ ★

عادت أمها فى اليوم الثانى تكلمها :

ـ يا (يُسر) يا بنتى ماذا تفعلين فى نفسك ؟!

ـ لماذا تقولين هذا يا ماما ؟

ـ هل ستظلين فى السرير باقى عمرك ؟!

ـ لا أشعر برغبة فى النهوض .

ـ والسفر ؟

ـ لا أريد شيئًا من (وائل) .

ـ لِمَ ، لقد قام بما عليه وأكثر ، وأحضر الأوراق إلى هنا .

ـ ولماذا يفعل هذا ؟!

سألت (يُسر) نفسها هذا السؤال ألف مرة دون أن تجد إجابة ترضيها .

ـ أنا لم أعد أفهمك ولماذا ذهبت له من الأساس ، ألم تطلبى منه ذلك بنفسك ؟

نظرت لها أمها وكأنها تراها لأول مرة، فلم تكن هذه (يُسر) التى تعرفها.

ردت (يُسر) بضعف :

ـ لا أعرف شيئًا .

ـ لقد احترت فى أمرك .. سأتصل بأخيك ليرى حلاً معك .. لقد تعبت من الحديث معك دون فائدة .

لأول مرة تسمع أمها تتكلم عن (باسم) هكذا .. مشت أمها تكلم نفسها :

ـ هذا الحال لا يرضى أحدًا .. يأتى أخوها ليتصرف معها .

عاودت (يُسر) الاستلقاء فى سريرها، كأنها لم تسمع شيئًا .

* * *

بعد يومين رن جرس الهاتف، لم تهتم به (يُسر) ظنت أن أمها سترد لكنها لم تفعل .. بعد وهلة توقف

الرنين، ثم عاد ليرن مرة أخرى بإصرار، فقامت (يُسر) رغمًا عنها ترد ..

ـ آلـو .

ـ السلام عليكم .

ـ وعليكم السلام .. من يتكلم ؟

ـ نسيتِ صوتى !!

انتبهت لأنه (وائل) لم تصدق أذنيها ولم ترد .

ـ لماذا لم تسافرى ؟

استجمعت أفكارها وردت بهدوء ..

ـ أسافر أو لا .. هذا شىء يخصنى .

ـ ألم تقولى إنه حلم حياتك ؟

ـ غيرت رأيى، أنا حرة .

ـ هل أستطيع مقابلتك ؟

تسارعت دقات قلبها .

ـ لِمَ ؟

ـ هناك موضوع أريد الحديث فيه معك .

ـ من أين تتكلم ؟

ـ من أمام المنزل .

ـ أى منزل ؟

ـ منزل والدتك .. هل ستأتين ؟

ـ هل الموضوع مهم حقًا ؟!

سألته برغم أنها كانت متشوقة للقائه ، ولم يكن لديها مانع من مقابلته ، ولو كان يتعلل بأمر وهمى .

ـ جدًا .. جدًا .. جدًا .

ـ إذن سأنزل بعد خمس دقائق .. ولكن ألن تصعد ؟

ـ مرة أخرى !! اليوم تعالى لنتقابل وأعدك أن آتى فيما بعد وأتحدث مع والدتك .

ـ كما تريد ، مع السلامة .

شعرت كأنها عادت لأيام الخطوبة .

صحبها إلى كافيتريا .

ـ لماذا لم تسافرى ؟! لقد أذنت لكِ .

ـ وهل ...

سكتت بعد أن كانت ستندفع فى الكلام .

ـ لماذا سكَتِّ ؟

ـ « وهل طلبت إذنك ؟ » ..

ـ لأرد وأقول : نعم أتيت إلىَّ وطلبت إذنى وأنا وافقت .

ـ لماذا ؟ ..

قاطعها متممًا :

ـ لماذا وافقت ؟!

أسرعت تقول :

ـ لماذا وافقت هذا ثانيًا ، لكن أولاً لماذا لم تخبرنى بموافقتك ؟

ـ لماذا وافقت ؟ هذا لأسباب كثيرة لابد أن لديك فكرة عنها ، أما لماذا لم أخبرك ؟ فقد تصرفتِ كالأطفال .

اعترف ببساطة ثم أكمل :

ـ هكذا أخبرنى (باسم) .

ـ (باسم) قال هذا ؟!!

سألته غير مصدقة أن أخاها لام عليها فى شىء .

ـ وقال أشياء أخرى كثيرة ، مثل أنى عنيد ، ولا أرى ما هو واضح أمامى .

ـ يبدو ككلام سبق وسمعته أنا بنفسى منه .

قالت متذكرة فى أسى ، مد يده وأحاط كفيها .

ـ (يُسر) ، أنا لا أمانع فى سفرك حقيقة .

لم تتكلم .. وافق على السفر أو لا ، كان يكفيها أنهما معًا ، وأنه يكلمها ببساطة ومودة وشعرت بالسعادة الغامرة لذلك ..

جاء النادل ليسأل عن طلباتهما ، فأسرعت تسحب كفيها وعلت الحمرة وجهها .

طلب (وائل) بعض المشروبات .

ـ (يُسر) !! نحن زوجان .

علق على تصرفها بمجرد انصراف النادل .

ـ أعلم ..

أجابته بصوت خافت ، غير أنه لم ترضه طريقة ردها .

ـ سأخبرك بشىء ، نشرب العصير ونذهب إلى مكان آخر نستطيع التحدث فيه بحرية ..

* * *

اصطحبها إلى منزل والديه ، فى الطريق عارضته (يُسر) ..

- لا أستطيع أن أواجه والديك .

- لِمَ ؟!

- أنا أعلم أنهما غاضبان منى .

- لا شىء كهذا ، إنهما يعتبرانك ابنتهما ، ومع ذلك نستطيع الذهاب إلى بيتنا لو تحبين .

- فى المزرعة ! الآن !

- إذن من الأفضل أن تأتى معى .

تبادلت التحية مع والديه ، رحبوا بها كأن شيئًا لم يحدث .

فى الحقيقة والداه لم يضغطا عليها لتسافر معه .. كانا إلى حد كبير واقفين على الحياد .

اعتذرا لـ (وائل) و(يُسر) ودخلا حجرتهما معتذرين .

قام (وائل) وأخذ يدها ليدخلا حجرتهما .

- (وائل) !!

اعترضت بصوت خافت ، لكنه لم يهتم لاعتراضها ، أدخلها الحجرة وأغلق الباب خلفهما .

قالت فى ارتباك :

- ماذا سيقول والداك الآن ؟!

- لن يقولوا شيئًا ، هل قلنا نحن شيئًا عندما دخلا حجرتهما .. (يُسر) نحن زوجان على سنة اللّه ورسوله وهذه حجرتنا .. هل نسيت فترة حياتنا فى هذا البيت ؟!

- لم أنس بالطبع .

عادت إليها ذكريات آخر يوم كانا هنا فيه على الأخص .

- إذن ماذا بك ؟

- قلها ، أتصرف كالأطفال .

ـ لا ، ليس كالأطفال ، ربما كأيام الخطوبة .. أو أيام الزواج الأولى .

سكتت ونظرت إليه طويلاً قبل أن تعاود الكلام .

ـ كيف حال الأرنب الصغير ؟

ـ لم يعد صغيرًا ، لقد تزوج ، وزوجته حامل فى ستة أرانب صغار على الأقل .

ـ ستة مرة واحدة ! ألا يعتبر هذا تشجيعًا على زيادة السكان ؟!

ـ لا ، هذه زيادة مطلوبة فى الأرانب .. أما فى البشر فيكفيهم طفلان أو ثلاثة .

ـ كيف حال (شيرين) ؟

ـ مازالت تأكل بشراهة .

ضحكا معًا .. سكتا قليلاً ثم سألها :

ـ وكيف حال والدتك ؟

ـ (وائل) ماما تحبك ، أقسم لك .

ـ وأنا أحب ابنتها .

نظر لها مبتسمًا ثم أمسك كفيها .

ـ قولى لى : هل أخبرتك من قبل أن فى القرية المجاورة للمزرعة مدرسة ابتدائية وإعدادية .

ـ لا ، لم تفعل .

ـ وهل أخبرتك أنهم يبنون مدرسة ثانوية هناك أيضًا ؟

ـ لم تخبرنى .

ـ لا تقولى هذا ، ألم أخبرك أنهم بالتأكيد سيحتاجون لمدرسة لغة فرنسية ؟!

ـ حقًا !! ، هل قالوا لك هذا ؟!

ـ أجل .

سكتا قليلاً .

- (وائل) لماذا أبعدتنى عنك بهذه الطريقة ، جعلتنى أشعر أنك لم تعد تريدنى .

- تصرفت هكذا لأنى كنت خائفًا أن أعود للأمل فى أنك سترجعين لى ثم أصدم فى النهاية وتعودين ترفضيننى ، فقررت أن أسبقك بالرفض .

- أنا ...

لم تكمل فسألها :

- أنت ماذا ؟

- كنت أريد أن أبقى .

سالت الدموع من عينيها .

- أرجوك لا تبكى ، أنا لم أسامح نفسى على آخر مرة أبكيتك فيها ، لقد قسوت عليكِ .

- لا تقل هذا يا (وائل) .

- سامحينى أرجوكِ .

ابتسم لها .

- كنت تريدين أن تبقى وأنا لم أر هذا .. لا أدرى كيف تركتك تفلتين من يدى .. لقد أردت أن أذهب وراءك من يومها .

- وما منعك ؟!

- كنت مريضًا .

- لم تتركنى أعتنى بك . لم تحتمل أن ألمسك أو أن أجلس بقربك .

- وكيف أفعل وأنت السبب فى مرضى ؟!

- أنا !!

- أجل لقد أردتك لدرجة أوصلتنى للمرض .. أحرق أعصابى وجودك أمامى ، وأنا أشعر أنك لم تعودى لى ، لقد شعرت بالغيرة من الدورة التدريبية .

اعترف لها .

- أنا أيضًا شعرت بالغيرة من المزرعة .

أرادت أن تخبره بكل شىء .

ـ متعادلان .

سألته (يُسر) بعد فترة :

ـ لماذا أضعنا كل هذا الوقت فى خلاف ؟!

ـ ربما لأن الحياة لا تسير على وتيرة واحدة .

ـ ماذا تقصد ؟ هل سنختلف مرة ثانية ؟!

ـ مادمنا سنبقى زوجين إلى آخر العمر ، فلا يهمنا أية خلافات .

* * *

النهاية

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى



السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل



منى منصور

زواج العمر

جاءت لـ (يُسر) فرصة السفر التي طالما انتظرتها ، لم يكن هناك عقبة أمامها سوى إذن زوجها (وائل) ، كل ما عليها أن تذهب إليه في المزرعة التي رفضت من قبل مجرد زيارته فيها ، وتطلب منه أن يوافق ...لكن هل سيوافق هو ؟

93

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن في مصر ٢٥٠ مـ
وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

